رئيسة جمعية العيدروس التنموية النسوية الاجتماعية في لقاء مع "الأمناء"

المجتمع المدني في عدن .. مكامن القوة والضعف

أجرى اللقاء / أحمد حسن العقربي

ثمة جدران كثيرة يصطدم بها الإنسان في حياته اليومية كإنسان أولاً وكمواطن ثانيـًا وكشريك في المجتمـع المحلي والوطني دائمـًا ، ما لـه ملجأ لتلافي هذا الاصطـدام أو التخفيف من أضراره في حال كان حتميـًا، والذين يقرؤون الواقـع الاجتماعـي في العاصمة عدن سيقولون ليس أمامنا سوى الاتكال على المؤسسـات المدنية فهي التي تلعب دور المرشد والمخفف من الصدمات، وهي التي تأخذ بيد المواطن لتسـاعده على تجنب السـقوط في الحفر الكثيرة في الليالي الظلماء التي تهدده كل لحظة.

وتأسيسـًا على ذلك نرى كيف واقع حـال المتجمع المدني في عـدن، وكيف يمكـن أن نسـتعرض تجربـة إحدى مكونات المجتمع المدني التي لها بصمات طيبة في تغيير ملامـح المجتمع المحلي في حي العيدروس ، وفي مديرية صيرة تحديدًا، ثـم كيف نعـود لنقيم تجربة المجتمع المدني تاريخيـًا في عدن ماضيـًا وحاضرا نحو وضع خارطة طريق جديدة للمجتمـع المدني القادم ، لاسـيما وإن عدن كانت سـباقة على مستوى الوطن بأكمله وعلى مسـتوى الجزيرة والخليج والوطن العربي،ومـا هي نقاط الضعف ونقاط القوة التي جارت تجربة المجتمع المـدني في الجنوب، وعـدنَ على وجه الخصوص؟.

من هذا الحـي العريق بتقاليده المدنية العريقة التقت "الأمناء" بإحدى العدنيات الرائـدات في المجال التنموي المدني وهي الأخت "سـمية أحمد صالـح القارمي" رئيسـة جمعية العيـدروس التنموية النسوية الاجتماعية والخيرية والثقافية، التي أجابت على أسـئلتنا الموجهة إليها برحابة صـدر وبأمانة وثقـة بالنفس وحيادية وبحميمية شـفافة، وفيما يلي حصيلة الحوار الذي أجريناه معها:

هل لك بداية أن تحدثينا عن مخاضات ومولـد الجمعيـة وكيف جـاءت فكرة إنشائها؟

في حقيقة الأمر لا أدعي لنفسي شرف ونجاح هذه التجربة؛ وإنـما شـاركني فيها عدد من الأخـوات اللواتي كان لهن قصب السـبق في تحدي الصعاب وكسر الحاجز النفسي الـذي راهن عليه أعداء نجاح المرأة، فبدأت الفكرة بقيام جمعية العيدروس كجمعيـة تطوعية من أجل إنقاذ المرأة الفقـيرة من الفراغ والضياع، وتخفيـف معاناتها المعيشـية وآلامها وتأهيلها وتدريبها لسوق العمل أو للقيام بمشـاريع خاصة يساعدها في تحسين ظروفها المعيشـية والتحرر من عبودية الفقـر والتقاليـد ومن أجـل أن تعيش بكرامة.

حينهـا وضعـت الفكرة عـلى أفراد أسرتي – والـدي ووالدتي – فاقتنعوا بها واستحسنوها باعتبارها تصب في مجرى العمل الخيري الإنساني، وكانوا يحثوني على الصبر والإرادة القوية أمام العراقيل التي ستواجهنا ودعوا لي بالتوفيق.

مـا هـي أدوات العمل التـي كنتم تملكونها للبدء بنشاط جمعيتكم؟

بدأنا العمل بماكينـة خياطة قديمة، وأحضرنا عـدداً من الكـراسي والمقاعد مـن بيوتنا – نحـن المؤسسـين لهذه الجمعيـة – وبدأنا ندرب بها النسـاء، بحسـب الإمكانيات، وحينـما وثق بنا أهل الحي، بدأت ثمـرات نجاح الجمعية تينـع وتنضج على الواقـع، وفي تغيير حياة المـرأة الفقيرة في المنزل ولمسـت المرأة قائدة الجمعيـة في مجال التدريب

كثير من الجمعيات أصبحت تعيد العيوب الموجودة لدى القيادات السياسية المهيمنة والجهاز الحكومي

على الخياطة، وأصبحت تتمتع بالحرف، حيث قـام بزيارتنا عدد من المسـؤولين وممثلي المنظـمات الدولية، وتأكدوا من جدية هـذه الجمعيـة ونتائجها المثمرة على الواقع ومدّوا يد العون والمسـاعدة، سواء من رجال الخير أو السلطة المحلية ببعض مكائن الخياطة وأجهزة الكمبيوتر وأدوات العمـل الحرفيـة إلى جانب ما تقدمـه المنظـمات المانحـة أو الدولية في مجـال التدريب والتأهيـل والنظام المؤسـسي، حيث توسع نشاط الجمعية ليشمل الأعمال الخيرية ومكافحة الأمية، والقروض والتدريب والتأهيل في مجالات الكمبيوتـر والخياطة ونقـش الحناء، والصناعات الخزفيـة والحرفية والتحف السـياحية وفي تعليم اللغة الإنجليزية، وفتح صفـوف التقوية وروضة الأطفال والاهتمام بالنشـاط الثقافي والإبداعي والفلكلـوري والريـاضي بين شـباب وشـابات عدن المنتسبين للجمعية وذلك للقضاء على وقت الفراغ وتنوع التدريب ليشـمل الإسـعافات الأولية والأعمال الإغاثية وإدخـال الجمعية كشريك مع بعـض منظمات المجتمع المـدني أو مع المنظـمات الدولية الداعمة أو مع القطاع الحكومي العـام والخاص في تنفيذ عدد من المشـاريع التنموية والاجتماعية والبيئية والصحية والتوعوية والإنسانية أصبـح للجمعية شـأن كبير بشـهادة القيـادات السياسـية والمحليـة حتى المنظـمات الدوليـة والمجتمـع المحلي المستهدف.

ما هي الخطـوات التوعوية للجمعية التي يمكن أن نقول أنها ميزتها عن بقية الجمعيات المدنية الأخرى؟

– جمعيتنا خرجت من جلباب الأعمال التقليدية الخيرية المحصورة على توزيع المواد الغذائية التي تنشـط في مواسـم الانتخابـات لبعض جمعيـات المجتمع المدني المتحزبة ذات التأثير الحزبي، ولذلك جمعيتنا تحولت من هذا الجلباب السلبي إلى الأجواء الاجتماعية الرحبة، فتوجت بعقد اللقاءات المجتمعية بحضور مدراء مرافق الخدمات الضروريـة كالكهرباء والمياه والصحة والصرف الصحي والتربية والتعليـم والمرافق العامة، ومناقشـتها القضايا معهم بحضور سكان عدن بكل شـفافية والخروج بمقترحات يلتزم بها الجميـع بتنفيذها من قبل المؤسسـات الخدمية وشراكة أفراد والمجتمع، كما يتم من خلال هذا اللقـاء التوعوية بمخاطر تعاطي المخدرات والحبوب بين الشـباب وخصوصا القات، وإيجاد البدائل لحماية الشـباب من الانزلاقات الاجتماعية من خلال التنسيق المسبق مع النوادي والمراكز الثقافية، كـما يلتزم أعضـاء الجمعية بحمـلات التوعية بـين المواطنين لدفع فواتير المياه والكهرباء والتوعية بمخاطر حمـى الضنك والإيـدز وحتى في مجال النشاطات السـكانية وتطعيم الأطفال، هناك حضور مشـارك لأعضاء الجمعية في هذه الأعمال والأنشـطة المجتمعية الخيرية.

هـل كان لكم مشـاركة في الأعمال الإغاثية والإسعافية أثناء الحرب الحوثية والعفاشية الظالمة على عدن؟

كان لنا حضور فاعل ويعلمه الجميع، ويمكنكم التحدث مع سكان كريتر خاصة ، حيث تحدينا الموت وخاطرنا بأنفسـنا من أجـل توصيل الأدوية والإسـعافات الأولية بالتعـاون مع الخيرين من لجان الإغاثة ومكتـب الصحة في عدن، وفي مقدمتهم الأطبـاء مثل الأخ/ صلاح بن بريك وغيره، ناهيك عن شباب وشابات الجمعية وشباب عدن، فهذا واجب وطني وإنسـاني، كنت أحبذا عـدم ذكره، لكن سؤالكم أجبرني على الإجابة.

لكن كيف تقييم مؤسسـات المجتمع المدني اليوم..؟!

أما آن الأوان لحسم الجدل القانوني لتعريف مفهوم المجتمع المدني في عدن لصالح القوى الاجتماعية العصرية؟

هنـاك في الحقيقـة نقـاط ضعف ونقاط قـوة.. نقاط الضعـف أن هذه الجمعيات المدنية اليوم لا تزال في صراع فيـما بينها وبين الجمعيـات (الأهلية) التي تأكد أنها تحمل شـعارا ذات الطابع التقليدي، فحتى الآن لم يحسـم الجدل

هل لمؤسسات المجتمع المدني القدرة على إعادة إنتاج نفسها بعيداً عن تمويل الدولة أو الخارج أو الأحزاب لتأمين استقلاليتها؟

القانوني لمفهوم المجتمع المدني، فأنصار مصطلـح المجتمع المـدني يتبنون إلى جانب الأعمال الخيرية التدريب والتأهيل والبناء المؤسسي والتنظيمي؛ إلى جانب ذلك أيضـا القضايا الكونية مثل حقوق الإنسان وحقوق المرأة ومكافحة العنف ضد المـرأة وقضايا الشـباب ومكافحة الإيدز والمخـدرات وحقوق الأقليات ، في حين المنظمات التقليديـة تخالفهم ولا تعترف بمصطلح بالمجتمع المدني، كونه من وجهة نظرها يحمل أجندات أوروبية وأمريكية، وترى أنه من الأسلم أن يعمل بمصطلح المجتمـع الأهلي ويؤكدون أن هذا المصطلـح تراثي من مخزون التراث العربي التقليدي ويحصرون نشـاطهم في الكـوارث الإنسـانية ورعاية اليتيم والعمـل الخيري التقليـدي ولم يهتموا بقضايا حقوق الإنسان والمرأة أو بإنقاذ الشـباب مـن الانزلاقـات الاجتماعية السـيئة كمكافحة المخدرات أو مكافحة ختان البنات أو مكافحة الإيدز والأمراض وأن تناولها يتم بشـكل عمومي من باب رفع العتب.

ومن نقاط الضعـف للمجتمع المدني الحـالي أن بعـض المنظـمات أعادت إنتاج نفسـها على النمط البيروقراطي الحكومـي بسـلبياته فهنـاك بعض المنظمات تخلقهـا بعض الأحزاب بهدف الحصول على التمويـل الدولي، وغياب الـروح الجماعية للعمـل، ولهذا بعض المنظـمات أو قادتها وراء المسـاعدات لأغراضها الشـخصية بعيدًا عن مصلحة الجمعيـة والمجتمـع والرقابـة المالية واللهث وراء المسـتثمرين ورجال المال، بأساليب ملتوية وانتهازية للحصول على المال والمتاجرة بالحـق العام للمجتمع ، بعيدًا عن الأهداف الحقيقية والقانونية والمشروعة للمصلحـة العامة لمصلحة أعضاء الجمعيـة والمجتمع.. إلى جانب الدور السـلبي لمنظمات المجتمع المدني تجاه اسـتشراء الفسـاد والفاسدين.. فالمواطن أصبح عرضـة لتيارات النهب من كل مـكان وتزلزل كيانـه الفكري ومفاهيمه، وليس هنـاك من يحميه أو يرشده إلى الطريق القادر على مساعدته في الدفاع عن نفسه وعن قناعاته، إنـه باختصار شـديد ثغرة ناجمة عن غياب مؤسسات المجتمع المدني أو عن محدودية الدور المتروك لها في التركيبة السياسية والاجتماعية السـائدة، فهذه المنظمات تمارس حضورًا خجـولاً وكأنه من باب رفع العتب ليس إلا، وإن تابعت الموضوع فإنه لا يتعـدى إطار العموميات.. فضلا عن غياب الرؤية الواضحة في عملها، ما يجعلها تغـرق في الجزئيات والتفاصيل إلى جانب طغيان ثقافة الفردية والأنانية ما يبعـثر الجهود والطاقـات ويضيع الهدف الرئيسي وهو الإنسان المحتاج في العيش الكريم والخدمات الضرورية.

وكذلك مـن نقاط الضعـف أيضا لا تسـتطيع أن تخرج هذه الجمعيات من جلباب شروط المنظمات الدولية، بالنسبة لمنظـمات المجتمع المـدني أو بشروط الجهات الداعمة – الأمم المتحدة في الخارج والداخل – بالنسـبة لمنظـمات المجتمع المدني ذات الشـعارات الإسـلامية التي تحدد لها شروطاً لتنفيذ أنشطتها، وفي الحالتين المنظمات ذات الطابع المدني أو الأهلي (الأهلية) لا يمتلكون حرية اختيار المشاريع التي ينبغي لها أن تكون مرتبطة بالتنمية والخدمات الضرورية كالطرق، المياه، الكهرباء، الصرف الصحي، التعليم والخدمـات الاجتماعية ، والسـياحة التي رفعت الدولة يدهـا عنها، ما جعل عمل المنظمات محـدود لا يتجاوز البناء المؤسسي، أو رعاية دور الأيتام فقط، أو توزيع المواد الغذائيـة في رمضان وفي مواسم الانتخابات الانتهازية للجمعيات المتحزبة سياسيـا ، ومناطقيا ، ومذهبيا .